

نفج الطيب من غصن الأندلس الرطيب

ماوافق خاطره .

ثم خرج الأذفونش ووقف على الدروب ومال بجيوشه إلى الجهة الغربية من بلاد الأندلس وتقدم السلطان يوسف فقصده وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ثم انزعج يقفو أثره بجيش فيه حماة الثغور ورؤساء الأندلس وجعل ابنه عبداً على مقدمته وسار وهو ينشد لنفسه متفائلاً مكمل البيت المشهور .

(لا بد من فرج قريب ... يأتيك بالعجب العجيب) .

(غزو عليك مبارك ... سيعود بالفتح القريب) .

(سعادك إنه ... نكس على دين الصليب) .

(لا بد من يوم يكون ... له أخا يوم القليب) .

ووافى الجيوش كلها بطليوس فاناخوا بظاهرها وخرج إليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد بن الأفطس فلقبهم بما يجب من الضيافات والأقوات وبذل المجهود وجاءهم الخبر بشخص الأذفونش ولما ازدلف بعضهم إلى بعض أذكى المعتمد عيونه في محلات الصحراويين خوفاً عليهم من مكائد الأذفونش إذ هم غرباء لا علم لهم بالبلاد وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل إن الرجل من الصحراويين لا يخرج على طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة إلا ويجد ابن عباد بنفسه مطيفا بالمحلة بعد ترتيب الخيل والرجال على أبواب المحلات وقد تقدم كتاب السلطان يوسف إلى الأذفونش يدعوه إلى إحدى الثلاث المأمور بها شرعاً فامتلاً الكافر غيظاً وعتاً وطغى وراجع بما يدل على شقائه وقامت الأساقفة والرهبان فرفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على الموت ووعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء والصالحون مقام الوعظ وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار